يوميات جينفييف

للكاتب الفرنسى مارسيل بريفو
عضو المجمع اللغوى الفرنسى
بقلم الدكتور محمد غلاب

٤ – حسن الختام :

يونيو فى مدينة تالوار .

إن كل ما يحوطنى الآن مفعم بالهدوء والسلام والعظمة والجلال والابتسام ، وحول منزلنا الصغير النائم تحت أشعة الشمس تبدو الجبال زرقاء وبيضاء . وقبالة هذا المنزل توجد البحيرة العظيمة بلونها الفضى ، وباريس الآن بعيدة .

نعم باريس بعيدة وكذلك الماضى بعيد ، وتلك الساعات القاسية التى احتملتها والتى كنت أتصور أنها ستقضى على حياتى ، كل ذلك قد انتهى كما انتهى الماضى البعيد ، والحياة الآن ستستأنف متحدة مضيئة . ولقد كان هذا التغير فجائياً بدرجة لا أكاد أصدقها .

يا عجبا ! إن آخر سطر فى مذكراتى الماضية كان غاية فى اليأس والقنوط ، وهو : « لأن أقدم حياتى خير من أن أقدم أمانة زوجى أو صحة ولدى » .

لقد كنت أكتب هذه المذكرة فى حجرة الطفل المريض وبجانب سريره ، وكانت الحاضنة تقرأ فى تلك اللحظة نبأ قدوم الطبيب فى الساعة الخامسة ، وكنت أنتظر حضوره فى جزع شديد ، ولو أنى كنت عارفة قراره مقدماً ، وهو قوله : لاجديد ، فلننتظر . وفى الواقع لم يكن هنالك جديد ، إذ أن جسم الطفل كان غارقا فى العرق ، وهو يئن فى سريره فى وسط نوم مضطرب .

وعند الساعة الرابعة من مساء ذلك اليوم دخل خادم زوجى ولقد كنت أكره لونه الذى هو مزيج من : صفرة وزرقة ورمادية ، وعينيه اللتين لا يمكن كشف ما وراءهما ، وفمه ذا الشفتين اللتين لاتكادان تريان من كثرة انقباضهما ، فسألته قائلة :

— ماذا تريد ياجوزيف ؟

— إن سيدى الكونت يسأل سيدتى أصحة سيدى الفيكونت أحسن الآن ؟ .

— إن سيدك إذاً لم يخرج .

— لا يا سيدتى ، إن سيدى ظل من بعد النداء إلى الآن فى مكتبه ، وهو يرجو من سيدتى أن تنبئه حينما يحضر الطبيب .

— حسن ياجوزيف ، ستنزل الحاضنة لتنبئ سيدك عندما يحضر الطبيب .

لم يكن زوجى إذاً قد خرج ، لأنه كان قلقاً على صحة الطفل وكان يريد أن يحضر زيارة الطبيب ، فهل كان أحد يصدق ذلك ؟ لقد زاد هذا الاهتمام الفجائى بصحة الطفل من غضبى حتى أحسست فى تلك الساعة أن الحقد يتضاعف فى نفسى إلى درجة أنى لم أعد أحتمل حنانه عليه وقلت فى نفسى : ليتركنى وحدى مع هذا الصغير العزيز المريض ، وليذهب إلى تلك المخلوقة . ولا ريب أن كبرياء الألم هى التى خلقت عندى هذه العاطفة ، لأنه كان ألماً مبرحاً .

وبعد الساعة الخامسة بقليل حضر الطبيب ، ولما نبأت الحاضنة الكونت صعد فوراً ، وكان فى هذه اللحظة يختلف كثيراً عن طبيعته المفعمة بقوة الإرادة والشجاعة إلى حد أننى أحسست بالشفقة عليه ، لأنه كان متألما من ذلك العراك الذى كان يحتل نفسه فى تلك الساعة بين هذا الخلق الكريم الحقيقى الذى حببه إلى الناس جميعاً ، وبين ذلك الهوى الوضيع الذى كانت نفسه تلح عليه فى إطاعته .

« لا جديد فلننتظر » . هذه الكلمة التى تنبأت بها قالها الطبيب بحروفها وهو يضع على الوسادة رأس الطفل بعد أن فحص جسمه .

أعاد الطبيب كلمة « فلننتظر » وأضاف إليها قوله : يجب أن تستعدوا لكل شىء ، فالأزمة بدأت تتطور ، وسيظهر فى هذا

المساء حدث جديد ، ولولا أن فى الأمر شيئاً سيظهر لما استمرت الحمى على هـذا النحو ، فهل عندكم طبيب ماهر فى هذا الحى ليلاحظ الطفل فى حالة حدوث ما لا ينتظر ؟ .

— نعم . يوجد طبيب ماهر فى ميدان « بوفو » وهو : الدكتور « جيل » .

— إنه اشاب ذكى ، وإنى أعرفه وسأكتب إليه كلمة ، لأوصيه بكم ، فإذا ما حدث أى شىء جديد فادعوه على عجل فى أية ساعة كانت .

— انصرف الطبيب وبقيت مع راءول وحدنا فى الحجرة ، فتصنعت أنى لا أنتبه إلى وجوده ، إذ كنت أسير فى الغرفة جيئة وذهاباً دون أن ألتفت إليه أو أحادثه ، وأخيراً قال بلهجة غير طبيعية :

— « إنى سأتعشى الليلة فى المنزل ياجينيفييف »

وحينما كان ينطق بهذه الكلمة كنت أقرأ فى نفسه كأنما أقرأ فى كتاب مفتوح أمامى هذه الأفكار الآتية : « إنه لردىء من جانبي أن أترك جينيفييف المسكينة وحدها فى مثل هذا القلق فلنتوسط فى الأمر ، ولنمنحها مرافقتنا إياها فى العشاء ، تلك المرافقة التى ستجزى بها سروراً ، وبهذا أكون قد أديت واجبى ثم أذهب بعد ذلك إلى شارع « فيزيليه » .

وفى الواقع أنه لو كان قد عرض علىّ هذا العرض قبل ذلك اليوم بليلة واحدة لقفزت فرحا وطرت سروراً ، ولكن اليقين الذى احتل عقلى اليوم من جهة ، والقلق المضنى على صحة الطفل من جهة أخرى قد غيرانى تماما فأجبته فى فتور قائلة :

— تعشّ هنا إذا أردت ياصديقى ، أما أنا فلن أنزل إلى حجرة المائدة لا سيما وأننى لا أرغب فى الأكل .

وعلى أثر سماعه هذا الجواب حل اليقين من نفسه محل الشك وآمن بأنى لا بد أن أكون قد عرفت شيئاً ، فامتقع وجهه ورأيت فى عينيه أنه يتردد فى أن يعترف لى بكل شىء وأن يطلب منى الصفح والتصافى ، ولكن تأثير الرغبة السيئة لم يلبث أن غلبه على أمره فاكتفى بأن يقول لى فى لهجة فاترة : « حسن! اعملى ما تريدين » وقد كنت إذ ذاك منحنية على الطفل ، فلم يجرؤ على الاقتراب منه ، ثم تردد قليلا ، وأخيراً خرج . وعلى أثر ذلك طفقت الساعات الطويلة تسير فى بطء ، وأنا جالسة إلى جانب سرير المريض الذى يئن فى نومه ، وفى كل دقيقة أنحنى عليه وأنظر إلى جسمه الذى أخذ يزداد حرارة وحمرة ، ولكن لم يظهر على جلده شىء من الحبوب . وفجأة هدأت الحمى وأخذ المريض فى التحسن واستيقظ وطلب لعبه ، فأنهمته ألا يكشف ذراعيه وصدره فأذعن ونام فى هدوء مطمئن ، فلما رأيت ذلك سررت واستسلمت إلى النعاس ، فأخذتنى سنة من النوم لم تطل ، إذ لم ألبث أن استيقظت على أثر حركة خفيفة أحسست بها ، فلما تبينتها وجدت زوجى منحنياً على سرير الطفل يحدق إليه بعناية وكان مرتديا ملابس الخروج ، غير أنه قد ارتدى فوق هذه الملابس « جاكتة » منزلية ، وكانت الساعة إذ ذاك التاسعة والثلث فقلت فى نفسى : إنه سيخرج ، وبعد نصف ساعة سيكون بين ذراعى تلك المرأة . وفى الحال خطرت لى فكرة انتظاره فى ذلك المنزل كما كنت قد قررت آنفاً ، ولكن هذه الفكرة لم تبق فى رأسى إلا لحظة قصيرة ، إذ وجدتنى أقول فى نفسى : « كلا ، كلا ، إن مكانى ليس هناك ، بل هو هنا » ..

وفى الحال قدمت باخلاص إلى إلهى ضحية كبريائى وعاطفتى كزوجة محبة لينجى لى هذا الطفل .

وفجأة هتف راؤول قائلا :

— « جينيفييف جينيفييف ! »

فنهضت واقفة لأنى أيقنت أن هذا الإيقاظ له علاقة بصحة الطفل ، وفى ثانية واحدة انمحى من نفسى كل الحقد الذى كنت أحمله له ثم قلت :

— ماذا ؟ ما الذى حدث ؟

— أنظرى

قال هذا وأشار إلى نقط كحبات العدس قد أخذت تنتشر فى وجه الطفل وذراعيه ، ولونها أحمر باهت ، فصحت فى جنون قائلة :

يا إلهى يا إلهى ما هذا ؟ إنى أرجو على الأقل ألا يكون الجدرى قل لى يا راؤول . وفى هـذه اللحظة تناولت يده وضغطت عليها ناسية كل شىء .

— امكثى هنا يا جينيفييف فسأذهب لإحضار الطبيب ثم خرج . وفى الوقت الذى فصل بين خروجه وعودته كنت أنا والحاضنة تائهين نذهب ونجىء فى الحجرة تارة ، وننحنى من النافذة لنسمع ضجيج المركبة تارة أخرى . ولقد كنت أدعو ربى وأتوسل إليه وأجدد النذر القديم وهو أن أحتمل فى سرور

خيانة زوجي كزوجة خاضعة تحرس في أمانة منزل الخائن .

وفي النهاية عاد السكوت يصحبه الطبيب فأخذ يفحص الطفل وكنا في هذه اللحظة : أنا وراءول ننتظر حكمه مرتعدين كطفلين يسيران في الظلام ، وكان كل منا يعتمد على ذراع الآخر رهبة وخوراً . ومضت على هذا خمس دقائق كاملة قبل أن يفوه الطبيب بكلمة ، وأخيراً قال :

— أنا أظن أنه ليس في الأمر خطر ، أظن ولست متأكداً ، لأن المرض لم يتحدد بعد .

— فقلت في تمتمة مضطربة :

— ولكن على كل حال هل هو الجدري .

— لا ، يقيناً إن هذا ليس هو الجدري .

كان الطبيب يقول هذه الكلمة ببساطة وهو لا يدري أنه قد ردّ بها إليّ التنفس والحياة . وعلى أثر ذلك سقطت بين ذراعي راءول فاقدة القوى وإن كنت قد أحسست أن ثقة خفية بزوال الخطر قد احتلت نفسي دفعة واحدة وشعرت بالرضى والسعادة ، فطفرت من عيني دموع غزيرة لا أدري أهي دموع رد الفعل أم دموع السرور ، ثم انتابتني على أثر ذلك أزمة عصبية لم أفق منها إلا حين لاح نور الصباح . وحينئذ وجدت راءول جالساً عند وسادتي فلم أشأ أن أضيع الوقت في سؤاله عن سبب جلوسه بجانبي ، وإنما هتفت به قائلة : وربنيه كيف هو ؟ .

— إنه الآن أحسن حالا ، وإن مرضه لخفيف وبسيط ، وإن الحبوب الآن بادية على وجهه بهيئة تجعله دميما في هذه اللحظة فقط ، ولكن الخطر قد زال ، والحاضنة والخادمة — ساهرتان عليه . وأنت كيف صحتك ؟

— أنا صحتي جيدة جداً .

وإذ ذاك أردت أن أنهض فخانتني قوتي وسقطت على الوسادة فقال راءول وهو يقبض على يدي .

— مسكينة يا صديقتي .

وبعد ذلك ساد بيننا صمت كنت أثناءه أقول في نفسي : من حيث أن راءول هنا فهو إما أن يكون قد عاد من شارع فيزيليه وإما أنه لم يذهب ثم سألته قائلة :

— في أية ساعة عدت يا راءول ؟

— إني عدت مع الطبيب ، وإني بجانبك منذ أن نمت إلى الآن .

قال هذا وقرب وجهه من وجهي فتمتمت قائلة :

— ثم ماذا إذاً ؟

وإذ ذاك فهم كل شيء ، فأجابني بصوت خافت : إذاً ... أنا أحبك وحدك وينبغي أن تصفحي عني ، وهذا هو كل شيء .

وعلى أثر ذلك تبادلنا قبلة لم نذق مثلها منذ عهد خطبتنا !

مضت على هذا الموقف ثلاثة أسابيع جعلت صحة الطفل إبانها تتحسن باطراد حتى استطعنا أن نسافر به إلى « تالوار » . وهانحن أولاء بمنزلنا سمداء شأننا في صيف كل عام . ولقد أطلعني راءول على برقية وردت إليه من هذه المرأة في صباح تلك الليلة المزعجة ، وقد جاء فيها ما يلي : « لقد انتظرت أمس ساعتين كاملتين في هاتيك الغرفة الذميمة ، وإنني لا أحب الأشخاص السيئي التربية فعم مساء يا سيدي » .

ويبدو أن هذا الـ « عم مساء » كان معناه الوداع الأخير . أما الآنسة جيفيرني فهي ستتزوج .

إن الطفل قد برىء تماما ، وإنه لجميل كما كان ولم يبق في وجهه أي أثر للحبوب ، وإن الدكتور رويان قد قال لي : إنه سيكون شابا فاتنا له من أسيرات حبه مثل ما لأبيه .

فأجبته قائلة :

— مثل أبيه ! إني أسأل الله أن تكون أسيراته في الغرام أقل عددا من أسيرات أبيه .

محمد غلاب

إدارة البلديات العامة — تنظيم

يطرح مجلس الجيزة البلدي في المناقصة العامة توريد ٢٥٠ أردباً من الشعير معدل ٢٣٫٥ قيراطا و ٨٠ حملا من التبن الأبيض وقد تحدد ظهر يوم ١٠ / ٦ / ١٩٤٦ لفتح المطلوبات بديوان المجلس . ٥٣٣٥

سكك حديد الحكومة المصرية

خط مصر — الاسكندرية

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه ابتداء من أول يونية سنة ١٩٤٦ ولحين صدور إعلان آخر سيسير « قطار فاخر » سريع (درجة أولى وبولمان) بين القاهرة والاسكندرية ويقف بمحطتى طنطا وسيدى جابر كالمبين بعد :

١ — يغادر قطار ٩٩٣ القاهرة فى الساعة ٣٠ ٨ ويصل إلى الاسكندرية فى الساعة ٣٠ ١١

٢ — يغادر قطار ٩٩٢ الاسكندرية فى الساعة ٠٠ ٨ ويصل إلى القاهرة فى الساعة ٠٠ ١١

وذلك وفقاً للمواعيد الآتية : —

المحطات		٩٩٣	المحطات		٩٩٢
مصر	قيام	٣٠ ٨	الاسكندرية	قيام	٠٠ ٨
طنطا	وصول	٤١ ٩	سيدي جابر	▪	١٠ ٨
طنطا	قيام	٤٤ ٩	طنطا	وصول	٤٦ ٩
سيدى جابر	▪	٢٢ ١١	طنطا	قيام	٤٩ ٩
الاسكندرية	وصول	٣٠ ١١	مصر	وصول	٠٠ ١١

(طبعت بمطبعة الرسالة شارع السلطان حسين — عابدين)